

تفسير كل شيء وإظهار علاقة كل شيء بكل شيء آخر، أي أنه نموذج مغلق لا يترك ثغرات على الإطلاق، ويدور في إطار السببية الصلبة المطلقة. كذلك يفترض من يتبنى النموذج الآلي أن كل الأجزاء والذرات تخضع لقانون كمي رياضي واحد يفسر كل شيء في كل زمان ومكان، كما يفترض أن التحكم هندسيًا من الخارج في كل شيء، حتى في عقل الإنسان أمر ممكن، أي أن النموذج الآلي نموذج مغلق أيضاً لا يترك أية ثغرات. ولذا، فإن كلا النموذجين الآلي والعضوي الشمولي يساعد على توليد نوع من أنواع المعرفة التي تيسر عملية التحكم الكامل في الواقع والهيمنة عليه (نسميها «المعرفة الإمبريالية»)، مثل معرفة التاجر بالسوق، فهي معرفة تهدف إلى التنبؤ بالأسعار وبحركة السوق حتى يمكنه التحكم فيه، ومثل معرفة العالم الذي لا يمكنه إجراء أية تجارب عملية إلا بعد أن يتحكم في كل المتغيرات تماماً ويستبعد ما ليس في قبضته... إلخ. ونوع المعرفة التي يطمح إليها كل من النموذجين الآلي والعضوي (الماديين) معرفة غير إنسانية، لأنها معرفة تطمح إلى تفسير كل شيء، ولا تترك أي ثغرات. كما أن نتائجها، لذلك، لا بد أن تكون علمية، أو شبه مطلقة ونهائية.

١٢ - يشترك النموذجان في أنهما يحلان مشكلة الاتجاه والغاية من الوجود (وهو سؤال نهائي) بطريقة ميتافيزيقية لا تعترف بغيبيتها، فكلاهما يطرح التقدم كهدف نهائي. فالنمو العضوي يعني في العادة الانتقال من البساطة إلى التركيب، أما الحركة الآلية فهي دائماً حركة إلى الأمام، وهكذا. وبذا يضيف النموذجان المعنى والاتجاه على الحركة. آلية كانت أم عضوية. ولكن هذا «الإيمان» بالتقدم إيمان لا يستند إلى معطيات مادية، فالنمو العضوي هو مجرد نمو لا غاية له، والحركة الآلية هي الأخرى عشوائية لا اتجاه لها، إذ يظل الاتجاه مسألة تحددها الإرادة الإنسانية حسب معايير توجد خارج نطاق الحركة ذاتها.

١٣ - كلا النموذجين لا يمكنه أن يحل مشكلة القيمة ومصدرها، فالحركة الآلية